

كائنات كليلة ودمنة

11

حرب البوم والغريان



الأسطورة العربية الحديثة

مؤلف: د. محمد بن عبد الله

مترجم: د. محمد بن عبد الله

محرر: د. محمد بن عبد الله

يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ ضَخْمَةٌ ، كَثِيرَةُ
الْأَغْصَانِ وَالْفُرُوعِ ..

وَيُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَتَرٌّ لِلْغُرَبَانِ ، يَعِيشُ لِهِيَ أَلْفٌ غُرَابٍ ..
وَكَانَ لِلْغُرَبَانِ مَلِكٌ حَكِيمٌ عَاقِلٌ ، لَا يَقْضِي أَمْرًا قَبْلَ أَنْ يَشَاوِرَ فِيهِ
الْعُقَلَاءَ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَأْخُذَ بِرَأْيِهِمْ ..

وَقَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَ يُوجَدُ فِي الْجَبَلِ كَهْفٌ نَعِيشُ فِيهِ
أَلْفٌ بَوْمَةٍ ..



وكانَ لليومِ ملكٌ مغرورٌ متَجَبَّرٌ ، شديدُ الظلمِ والبَطْشِ والعُدوانِ على
جيرانِهِ الغُريبانِ ..

وذاتَ ليلةٍ ظُلُماءَ خرجَ ملكُ اليومِ يقولُ أصحابَه ، فأغاروا على وُجْهِ
الغُريبانِ غارةً مُفاجِئةً - وهُم ما يزالونَ نيامًا - فقتلوا منهمُ عددًا كبيرًا ،
وأصابوا عددًا آخرَ إصاباتٍ خطيرةٍ .. والمعلومُ أنَّ اليومَ ترى ليلًا ،
وتعجزُ عنِ الرؤيةِ نهارًا ..

فلما أصبحَ الصُّباحُ ولاحَ بوجْهِهِ الوضاحُ ، اجتمعَتِ الغُريبانُ
إلى ملكِها ، وهُم في حالةٍ خطيرةٍ يَرْتَأَى لها ، وقالَ أكثرُهُم لِباقَةِ :
- قدَ عَلِمْتَ أيُّها المَلِكُ ما لَلَيْلَةِ مِنْ ملكِ اليومِ



وأغوانه .. لقد علموا مكاننا وتجرؤوا على وطننا ..

وراح ملك الغربان يستعرض رعاياه وأهل مملكته حزيناً ، فلم يرَ
حوالة غير قتيل أو جريح أو مكسور الجناح أو منكوب الريش أو
مقطوع الذنب ، فملأته الحسرة وهذه الهمم .. وتحدث غراب آخر فقال :

- إن الأهم من ذلك أن أعدائنا اليوم ، بعد أن علموا مكاننا وتجرؤوا
علينا ، لا بد أن يعودوا إلينا ، وكل هدفهم هو استئصالنا .. أأنت
ملكنا ويجب أن تعمل على حمايتنا من أعدائنا ..

راح ملك الغربان يفكر فيما يجب عليه أن يفعله
تجاه رعاياه ، لكنه لم يشأ أن يقرّر أمراً
قبل أن يستمع إلى آراء



مُسْتَشَارِيهِ ، فَرَبَّمَا أَفَادُوهُ بِرَأْيٍ لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ ..
 وَكَانَ لِمَلِكِ الْغُرَبَانِ خَمْسَةُ مُسْتَشَارِينَ ، فَنَظَرَ إِلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمْ قَائِلًا :
 - مَا رَأَيْكَ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَي رُغُوسِنَا جَمِيعًا وَقَوَّعَ
 الصَّاعِقَةُ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْأَوَّلُ :

- لَا أَرَى حَلًّا لِهَذِهِ الْكَارِثَةِ سِوَى أَنْ نَهْرُبَ مِنْ غَدُونِنَا لِأَنَّهُ قَدْ تَجَرَّأَ
 عَلَيْنَا فِي أَوْطَانِنَا ، وَلَنْ يَدْعُنَا نَعِيشَ فِي سَلَامٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ..
 فَنَظَرَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ إِلَى الْمُسْتَشَارِ الثَّانِي قَائِلًا :
 - وَأَنْتَ مَاذَا تَرَى ؟



فقال المستشار الثاني :

- لا أرى إلا ما رآه زميلي .. ليس أمامنا إلا الهزب ..

فغضب ملك الغريبان وقال :

- ليس هذا برأي صائب .. كيف نرحل عن أوطاننا ، ونخليها لعدونا

من أول مُصيبَةٍ أصابتنا مِنهُ ؟! الرأي الصواب أن نجتمع أمرنا ،

ونستعِدَّ للقاءِ عدونا .. أن نشعل نَارَ الحَرْبِ ونستعِدَّ للقاءِ عدونا ،

فنقاتلُه قتالَ الشُّجْعانِ .. قتالاً نتحصنُ فيه بِخُمُونِنا ، فنقتلُ مِنهُ

أَكثَرَ ممَّا قتلَ مِنَّا ، ونُصيبُ مِنهُ أضعافَ

ما أصابنا .. هذا هو الرأي الذي أراد ..



ونظر الملك إلى مُستشاره الثالث قائلاً :

- وأنت ما رأيك فيما جرى ؟

فقال المُستشار الثالث :

- من رأيي ألا نبدأ حرباً ، حتى تُرسل جواسيسنا إلى عدونا ، فنختم هل يريدُ عدونا صلحنا ، أم يريدُ حربنا ، أم أنه فعل ذلك ليُضربنا ويجبرنا على دفع الفدية ؟ فإذا رأينا طامعاً في مالٍ ، صالحنا على فدية نؤدبها إليه ، ندفع بها فدية ، ونردُّ عدوانه ، فنعيش أماناً في ديارنا ، ولا نرحل عن أوطاننا . فنظر ملك الغريان إلى مُستشاره الرابع قائلاً :

- وأنت ماذا ترى في هذا الصلح ؟

- فقال المُستشار الرابع :

- لا أراه رأياً صائباً .. والرأي عيدي أننا لو اضطربنا

إلى مغارقة أوطاننا ، فإن الصبر على الغربة ،

وشدة المعيشة خيرٌ من أن نذل أنفسنا ، ونخضع

لعدونا ..



وسكتَ المُستشارُ الرابعُ حتى يلتقطَ أنفاسَهُ .. ثم قال :

- وأنا واثقٌ أننا لو فعلنا ذلكَ مع اليوم ، فإنه سوف يجتري علينا
أكثرُ ، ولن يرضى إلّا بخضوعنا وإذلالنا وسلبِ أموالنا ، والرأى عيبي
أنّ تجهزْ أنفسنا لمحاربتِهِ ..

فنظرَ الملكُ إلى مُستشارِهِ الخامسِ وقال :

- وأنتَ ماذا ترى في هذِهِ الآراءِ المطروحة ؟

هل ترى أنّ نُقاتلَ عدوَّنَا ، أم نُصالحهُ ، أم نرحلَ عن أوطاننا ؟

فقال المُستشارُ الخامسُ - ويبدو أنه كان أكثرهم عقلًا وحكمة :

- امّا القِتالُ ، فأنا أرى أنه لا سبيلَ لنا إلى قِتالِ عدوَّنَا ،



لأنه أقوى منا .. وقد قال الحكماء : مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَيَعْرِفُ عَدُوَّهُ ،
وَأَقْدَمَ عَلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، أَهْلَكَ نَفْسَهُ .. وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي
لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوَّهُ ، لَأَنْ مَنْ اسْتَصْغَرَ عَدُوَّهُ اغْتَرَبَهُ ، وَمَنْ اغْتَرَبَ عَدُوَّهُ
لَمْ يَسْلَمْ مِثْلَهُ .. وَلِذَلِكَ قَالُوا أَلْصَحُّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالِاتِّبَاعِ عَنْ قِتَالِ الْيَوْمِ ..
فَاسْتَحْسِنِ الْمَلِكُ كَلَامَ مُسْتَشَارِهِ .. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ قَائِلًا :

- هَلْ تَعْلَمُ أَيُّهَا الْغُرَابُ الْحَكِيمُ ، كَيْفَ كَانَتْ بِدَايَةُ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ الْيَوْمِ
وَالْغُرَابِ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ :

- زَعِمَ أَجْدَادُنَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُنْذُ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا ، وَأَنَّ سَبَبَ هَذِهِ
الْعِدَاوَةِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ طَائِفِ الْكَرْكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ ؛
فَاجْتَمَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ وَفَرَّرَتْ أَنْ تَجْعَلَ مَلِكَ الْيَوْمِ مَلِكًا عَلَيْهَا ..



وَبَيْنَمَا جَمَاعَةُ الْكُرْكِيِّ فِي اجْتِمَاعِهَا رَأَتْ غُرَابًا يَحْمِلُ قَرِيبًا مِنْهَا ،
فَاسْتَشَارَتْهُ جَمَاعَةُ الْكُرْكِيِّ فِيمَا قَرَّرَتْهُ مِنْ اخْتِيَارِ مَلِكِ الْيَوْمِ مَلِكًا لَهَا ..
فَقَالَ مَلِكُ الْغُرَابِ :

- وَمَاذَا قَالَ ذَلِكَ الْغُرَابُ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ :

- قَالَ الْغُرَابُ : كَيْفَ تَمَلِكُنَّ مَلِكَ الْيَوْمِ عَلَيْكُنَّ ؟ أَمَا عَلِمْتُنَّ أَنَّ الْيَوْمَةَ
هِيَ أَقْبَحُ الطُّيُورِ مَنَظَرًا ، وَاسْوَأُهَا خَلْقًا ، وَأَقْلَبُهَا عَقْلًا ، وَأَشَدُّهَا
غَضَبًا ، وَأَقْلَبُهَا رَحْمَةً بِمَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ؟ هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَعْفِ
بَصَرِهَا نَهَارًا .. وَالْيَوْمُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ طَائِرٌ مَشْنُومٌ يَقْضَايِقُ
النَّاسَ مِنْ رُؤْيَيْهِ ..

وَرَأَى الْغُرَابُ يَعْدُو مَسَاوِيَّ الْيَوْمِ ، وَيَنْصَحُ جَمَاعَةَ الْكُرْكِيِّ بِغَدَمِ
تَمْلِكِهِ عَلَيْهَا مَهْمَا كَانَتِ الْكُرُوفُ .. فَلَمَّا سَمِعَتْ جَمَاعَةُ الْكُرْكِيِّ ذَلِكَ
أَعْرَضَتْ عَنْ تَمْلِكِ مَلِكِ الْيَوْمِ عَلَيْهَا ..



وماذا حدث بعد ذلك ؟

فقال المستشير الخامس :

.. كانت هناك بومة حاضرة ، فسمعت كل ما قاله ذلك الغراب ،
ونقلته إلى ملك اليوم ، فغضب غضباً شديداً ، وقال للغراب : لقد
اثبتني أذى شديداً ، لن يمحي من قلبي أبداً ، برغم أني لم يستيق مني
أن وجهت إليك أذى أو إهانة .. لقد عرستكم معاشير الغربان بيثنا
وبينكم شجر الحقد ، واشعلتم نار العداوة والبغضاء ..

فلما سمع الغراب ذلك علم أنه أخطأ في حق اليوم ، وندم ندماً
شديداً على ما صدر منه من قول فيه إهانة لليوم ..
وبعد أن ثاب الغراب إلى رشده ، قال في نفسه :
والله لقد تجاوزت في قولي هذا الغش ، الذي جلبت به
العداوة والبغضاء على نفسي وعلى قومي



لَيْسَنِي لَمْ أُخْبِرْ جَمَاعَةُ التُّرْكِيِّ بِمَا أُخْبِرْتُهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ . إِنْ كُنَّ
الطَّيْرِ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ وَمَسَانُونِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أَعْلَمُ ، وَلَكِنْ مَنَعَهَا مِنْ
الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْخَوْفُ مِنْ جَلْبِ عِدَاوَةِ الْيَوْمِ لَهَا وَلِقَوْمِهَا .
إِنَّ الْعَاقِلَ - حَتَّى وَلَوْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ - لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى
جَلْبِ الْعِدَاوَةِ لِنَفْسِهِ وَلِقَوْمِهِ ..

فَقَالَ مَلِكُ الْغُرَبَاءِ :

- وَمَاذَا تَرَى أَيُّهَا الْمُسْتَشَارُ الْعَاقِلُ مِنْ حَلٍّ لِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ شِدْقٍ
وَكَرْبٍ الْآنَ مَعَ عِدْوَانِ الْيَوْمِ ؟
فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَاسِرُ :

- عِبْدِي مِنَ الْخَيْلَةِ وَالرَّأْيِ وَالْمَعْيِدَةِ مَا أَرَى فِيهِ مَخْرَجًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ
مِنْ هَمٍّ ، وَكَرْبٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تَعَالَى) - فَتَرَبَّ قَوْمٌ قَدْ احْتَالُوا بِأَرَائِهِمْ ،



حتى تفكروا بما أريدوا ، ونالوا كل ما تمنّوا ..

فقال ملك الغريبان :

- اعرض عن كل ما تفكر فيه أيها الحكيم ، فأنا كلّي اذان صاغية ، وأنت تعلم أنني أقدر رأيك حق قدره ، واحترمه من بين جميع الآراء ..

فسخت المستشار الخامس قليلاً .. ثم قال شارحاً خطئته التي استقر عليها راية بعد تفكير طويل :

- أريد من الملك أن يأمر جنوده بنقري ونثف ريشي وذيلي ،



ثم يأمرُ باللقائي عندَ جذعِ هذه الشجرة التي نعيشُ فيها ..
فتعجبُ الملكُ ، وتعجبُ كلُّ الحاضرينَ من كلامِ المستشارِ الخامسِ ..
وقال الملكُ مُستنكرًا :

- كيفَ تطاولوني نفسي أنْ أفعلَ ذلكَ في أعقلٍ وأحکمٍ أغواني وأعرُّ
اصدقائي ؟

فقال المستشارُ الخامسُ في إصرارٍ :
- من أجلِ الأهلِ والأوطانِ يَهْوُونَ كلَّ شيءٍ ، حتى النفسَ يا ملكَ
الغريبان ..



فَقَالَ الْمَلِكُ :

- وما هي خطبتك في ذلك ؟ فقال المستشار الخامس :

- بلدنا أن نخلعوا بي ذلك ، أرجو أن ترحل أيها الملك بجنودك ، وبكل
مجتمع الغربان إلى مكان بعيد آمن لأهلي وقومي ، وتنتظرون هناك ،
حتى أدخل في مجتمع اليوم وأعيش بينهم ، فاختلط بهم ، وأطلع على
كل أحوالهم ، فاستطيع أن أحدد نقاط ضعفهم ، وأعرف مدى قوتهم
وتحصيناتهم ، ثم أهرب واتي إليكم لنهجم عليهم في الوقت المناسب
ونزال منهم نأربا بإذن الله (تعالى) ..



وَبَرَّغَمِ السُّبَّاحِ الْمَلِكِ بِمَا عَرْضَنَهُ عَلَيْهِ مُسْتَشَارُهُ الْخَامِسُ مِنْ خِطَّةٍ
فِيهَا كَيْدٌ لِلْأَعْدَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّ يَرَاجِعُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَائِلًا :
- هَلْ تَطِيبُ نَفْسُكَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْبُطُولِيِّ الَّذِي قَدْ تَدْفَعُ فِيهِ حَيَاتَكَ ،
وَتَضْحَى فِيهِ بِنَفْسِكَ ؟

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ الْمَلِكُ يَتَلَقَّى جَوَابَ مُسْتَشَارِهِ الْخَامِسِ بِالرُّضَا
وَالْقَبُولِ لِهَذَا الْخَطِيرِ الَّذِي سَيَقُومُ بِهِ . وَهَكَذَا رَحَلَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ
مَعَ جُنُودِهِ وَكُلُّ مَجْتَمَعِ الْغُرَبَانِ ، بَعْدَ أَنْ تَتَقَوَّأَ رِيشَ الْمُسْتَشَارِ
الْخَامِسِ وَادَّوَّهُ بِالْفَقْرِ وَالضَّرْبِ - ثُمَّ تَرَكَوهُ عَلَى الْأَرْضِ بِجَوَارِ جَذَعِ
الشَّجَرَةِ ، لِيَلْقَى مُصِيبَةَ الْمَحْنُومِ . فَهَلْ يَنْجَحُ فِي مُهْمَّتِهِ ، أَمْ تَكُونُ
فِيهَا نِهَائَتُهُ ؟

الكتاب القادم
جاسوس في مملكة اليوم

